المحاضرة الثانية: الحركة الوطنية الجزائرية نشأتها واتجاهاتها:

1مفهوم الحركة الوطنية:

أول ما نستهل به هذه المحاضرة هو مفهوم الحركة الوطنية عامة والحركة الوطنية الجزائرية خاصة، والحركة الوطنية مصطلح يتكون من كلمتين هما: "الحركة" و"الوطنية" والحركة تعني النشاط والعمل وترادفها في اللغة الفرنسية mouvement، وباللغة الانجليزية movement،[1] والمدلول السياسي للكلمة "هي التيار العام الذي يدفع طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو تحسينها جميعا...والحركة أكثر شمولا وفي الوقت نفسه أقل تماسكا وانضباطا من الحزب، إذ يمكن أن تكون نقابة أو جماعة ضغط أو تيارا عريضا أو حتى حزبا سياسيا، وقد تلجأ العديد من الأحزاب إلى وصف نفسها بأنها حركة لتوحي بتحررها من القيود العقائدية والانضباطية الصارمة المفروض توافرها في الحزب السياسي."[2] وساهم النظام الرأسمالي في تواجد العديد من الحركات التي عملت مع الوقت للوقوف في وجهه، إذ اكتسبت الوعي الذاتي ونظمت صفوفها للقيام بعمل موحد يحافظ على مصالحها وبالتالي يكبح جماح الرأسمالية.[3]

أما الوطنية فمعناها حب الوطن والشعور باللذة في التضحية من أجله، أو الدفاع عنه، أو السعي وراء سعادة أهله، وربط بعض المتخصصين بين الوطنية والحرية، باعتبار الوطنية الحقيقية لا يمكن أن تكون إلا في البلدان التي يكون أهلها أحرارا محكومين بقوانين منصفة، لكن الوطنية بمفهومها الواسع تكون قبل وجود الحرية نفسها، فالوطنية نزعة، والحرية ممارسة، الوطنية شعور يتحكم في السلوك، والحرية ممارسة تتجسد في هذا السلوك لاحقا.[4] وترتبط الوطنية بعدة مفاهيم أساسية: الوطن، القومية، الجنسية، الدولة، الأمة، وحتما لا نستطيع أن نتوسع في كل هذه المصطلحات المختلفة هنا لكن نشير إلى أنها تصنع التميز والتفرد بين أفراد المجتمعات، وتحدد الانتماء والاختلاف بين سكان المعمورة، وقد ظهرت هذه المصطلحات في أوقات مختلفة عند الدول، وقد وجد الجزائريون أنفسهم بعد الاحتلال الفرنسي في مواجهة كل هذه المصطلحات، واستطاعوا أن يتميزوا بهويتهم وانتمائهم وفهموا الوضعية جيدا التي أراد الاحتلال الفرنسي أن يضعهم فيها، خاصة بعد أن طرح مشاريعه لسلبهم هويتهم العربية والإسلامية والقضاء على وطنهم وماضيهم، وجعلهم مواطنين درجة ثانية مسلوبي الحقوق وضاعف عليهم الواجبات.

بخصوص لفظ الوطن فهو قديم في اللغة العربية يعود إلى زمن الجاهلية، وقد ذكر بعض الشعراء هذا اللفظ بمعنى الأرض التي يسكنها، وورد في الأثر "حب الوطن من الإيمان"، وترددت نزعة حب الوطن في الأدب العربي القديم ونذكر على سبيل المثال لا الحصر قول أبي تمام: كم من منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل وقول رؤية: أوطنت وطنا لم يكن من وطني لو لم يكن عاملها لم أسكن، والمعنى الأول للوطن هو المكان مطلقا، أي المكان الذي يقطنه الإنسان، وتطور هذا اللفظ في معناه فأصبح يطلق على أرض ملك العشيرة أو مجموعة من الناس يجمعهم هدف واحد، وفي العصر الحديث الوطن له حدود تحده وقوة عسكرية تحميه تدعى الجيش في حالة كان مستقلا، ويحتمل أن لفظ الوطن قد عرف في اللغة الفرنسية في القرن السادس عشر ولم يعرف فيها بالمفهوم السياسي أي بمعنى الوطنية إلا في القرن الثامن عشر.[5]

القومية: ومصدرها اللغوي من القوم أي جماعة تجمع بينهم رابطة معينة، ويرتبط مفهوم القومية بمفهوم الأمة في الدلالة السياسية للمفهوم، من حيث الانتماء إلى أمة محددة، والأمة هي الشعب ذو الهوية السياسية الخاصة الذي تجمع بين أفراده روابط موضوعية وشعورية وروحية متعددة تختلف من شعب لآخر، مثل اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ والحضارة...وبدأ مفهوم القومية بالانتشار في أواخر القرن الثامن عشر في ألمانيا خاصة...وأصبح مفهوم القومية محركا جذريا للقوى السياسية وبفضله توحدت ألمانيا، وإيطاليا، ودول البلقان، كما كانت القومية أيضا سببا للاعتداء والتوسع وساهمت في الحركة الاستعمارية، وامتد تأثير المفهوم وانتشاره إلى إفريقيا وآسيا في القرن العشرين الذي يعتبر سياسيا قرن ظهور القوميات واتحادها، وأصبحت القومية ثورة من أجل الكرامة والنهضة الحضارية، ومحركا لاستقلال الشعوب ومقاومة الاستعمار،[6] ويجب توضيح أن هناك فرقا بين مفهوم الوطنية patriotisme التي تعني حب الإنسان لوطنه الذي ولد فيه، واستعداده للدفاع عنه والموت في سبيله، ومفهوم القومية nationalisme التي اعتبرها بعض المفكرين "حالة ذهنية يظهر فيها الولاء الأكبر للفرد نحو الدولة، وارتباط عميق بأرض الوطن، وبالعادات المحلية وبالمنطقة التي يعيش فيها الفرد ويتواجد فيها منذ مر التاريخ."[7]ومصطلح القومية لم يظهر في القاموس الأكاديمي الفرنسي إلا نهاية القرن 19ميلادي، وبقي في حالة تطور حتى بداية القرن العشرين، وسبقت بعض الشعوب الأوروبية فرنسا، كالألمان والطليان عن طريق مفكريها وفلاسفتها لاكتشاف بعض المفاهيم الحديثة كالقومية والوطنية لأنها كانت مقسمة إلى عدة دويلات رغم توفر

عناصر قوميتها، أما الشعب الفرنسي فلم يعرف هذا التقسيم، وهو السبب الذي أدى بمفكريه إلى عدم طرح مفهوم القومية.[8]

الجنسية: وهي بصفة عامة رابطة سياسية وقانونية بين الشخص ودولة معينة، وبواسطتها تتحدد واجبات وحقوق الشخص، ويسمي من يتمتع بهذه الرابطة وطنيا، أما الذي لا يتمتع بها فهو الأجنبي، وللوطني حقوق والتزامات أكثر من الأجنبي، وكما تكون الجنسية للأشخاص الطبيعيين تكون أيضا للشخصيات الاعتبارية كالشركات، وتحدد كل دولة بواسطة قانونها الداخلي قواعد الجنسية، وتختلف الدول فيما بينها في القواعد التي تنظم بمقتضاها جنسيتها، وهناك حالات تسقط فيها الجنسية عن صاحبها، وقد يستردها من جديد بعد فقدانها وفقا للقوانين، والجنسية أنواع منها الجنسية الأصلية التي تثبت للشخص منذ ميلاده، والجنسية المكتسبة التي يحصل عليها عن طريق شروط تختلف من بلد لأخر منها الطلب عن طريق التجنس، أو الزواج، وقد يتمتع الفرد بعدة جنسيات، كما هناك حالات تسقط الجنسية عن صاحبها....[9] وحالات شهدها التاريخ فرضت الجنسية على جماعات معينة كما حدث مع يهود الجزائر الذين فرضت عليهم الجنسية الفرنسية بصورة جماعية بواسطة مرسوم كريميو عام 1870م، جراء جهود بذلها إخوانهم في الدين من يهود فرنسا أحسوا أن هذه الجنسية ستحسن أحوالهم.[10]

الدولة: هي الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والمنظم لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، وتكون إرادة الدولة هي العليا شرعا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع، لأن الدولة تمتلك سلطة إصدار القوانين واحتكار حيازة وسائل الإكراه واستخدامها في سبيل تطبيق القوانين من أجل ضبط حركة المجتمع، وتحقيق السلم والنظام والتقدم داخليا وخارجيا، وتوفير الأمن من العدوان في الخارج، ويستخدم مصطلح الدولة أيضا للإشارة إلى مؤسسات الحكم، والدولة تتألف من الشعب والأرض والسلطة، ومن الناحية القانونية تعتبر الدولة شخصية قانونية موحدة، وكيانا جماعيا دائما، له سلطة الأمر والنهي على نحو فريد في المجتمع،[11] والوطنية والقومية مرتبطتان ارتباطا وثيقا بمفهوم الدولة، فعندما تؤلف الأمة دولة واحدة في هذه الحالة تنطبق الوطنية تمام الانطباق على القومية، ويكون الاختلاف بينهما عندما تؤلف الأمة الواحدة عدة دول.[12]

الأمة: تعبير يشير إلى مجموعة بشرية تكوّن تآلفها وتجانسها القومي عبر مراحل تاريخية، تحققت خلالها لغة مشتركة وتاريخ وتراث ثقافي ومعنوي وتكوين نفسي مشترك، والعيش على أرض واحدة ومصالح اقتصادية مشتركة مما يؤدي إلى إحساس بشخصية قومية، وتطلعات ومصالح قومية موحدة ومستقلة، وهذه الشروط ليست نهائية ولا قطعية فهناك أمم لم تتوفر فيها كل هذه الشروط، وهناك شعوب توفرت فيها ولم تبرز إلى حيز الوجود كأمم بل كجماعات قومية داخل أمم متفرقة أخرى.[13]

وعرفت الموسوعات الغربية مصطلح الحركة الوطنية على أنه: "حركة الأشخاص الذين يدركون ضرورة تكوين مجموعة أساسها الروابط العرقية واللغوية والثقافية وغيرها، وهي تنطلق من إيديولوجية ترمي إلى تمكين الأمة من حق ممارسة سياسة لا تأخذ في الاعتبارات الخاصة وترفض كل ما من شأنه الحد من حريتها في العمل."[14] أما الحركة الوطنية الجزائرية فهي حسب مُحَمَّد الطيب العلوي المعروفة بمرحلة النضال السياسي وهي بالنسبة للجزائريين تعتبر مرحلة انتقالية انتقلوا بواسطتها من المقاومة المسلحة إلى الثورة التحريرية المباركة، وخلال مرحلة النضال السياسي جرب الجزائريون عدة أساليب سياسية، واستخدموا وسائل غلبوا فيها جانب العقل والمعرفة ضد المستعمر الذي طالما لم يعترف بقدرة الجزائريين وكفاءتهم، والملاحظ أن مُحَمَّد الطيب العلوي حصر الحركة الوطنية في النضال السياسي وجعلها مرحلة بين المرحلتين الثورات الشعبية والثورة التحريرية.[15]

وتجدر الإشارة أنه من الخطأ الاعتقاد أن الأحزاب السياسية هي نواة للحركة الوطنية، بل المتتبع لبدايات الحركة الوطنية الجزائرية يجدها بدأت بنشاط النخبة في شكل مجهودات فردية أو جماعية، ثم تطورت بعد ذلك وأصبحت في شكل مجموعات تلتف حول جريدة معينة أو جمعية أو ناد، وإذا كانت الصحافة تخضع لقوانين صارمة فلا تستطيع أحيانا التعبير عن أفكار أصحابها، فإن الجمعيات والنوادي كان بعضها في منأى عن هذه الرقابة، لذلك كان لها دور فعال في الوعي الوطني الجزائري، وقبل ظهور الأحزاب السياسية ظهرت العديد من الجمعيات والنوادي الثقافية وإلى جانب نشرها الوعي الوطني ساهمت في تشكيل الهيئات السياسية فيما بعد، ولا يعني هذا أنها زالت بمجرد تشكيل الأحزاب، لذا فالنوادي والجمعيات هي جزء من الحركة الوطنية الجزائرية وهذه الأخيرة لا تعني فقط الأحزاب السياسية.[16]

ويربط بعض المتخصصين بين مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية وكل عمل جماعي للأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية والإصلاحية الجزائرية، التي ارتقت بمستوى المطالب لتغيير الواقع الاستعماري من ردود الفعل العفوية إلى

حركة سياسية نشيطة امتلكت أدوات العمل السياسي المنظم بسبب احتكاكها وتأثرها بالتيارات السياسية الخارجية في العالم الإسلامي وأوروبا في بداية القرن العشرين، وهذا المفهوم يشترك فيه بعض الجزائريين بالإضافة إلى كتاب التاريخ الأجانب الذين يمثل الفرنسيين الغالبية منهم، وعلى هذا الأساس الحركة الوطنية الجزائرية وليدة العشرينيات أو الثلاثينيات من القرن العشرين،[17] والحركة الوطنية الجزائرية حسب هؤلاء هي كل عمل سياسي منظم في السنوات الأولى للقرن العشرين.

وإذا تمعنا في العديد من تعريفات الحركة الوطنية الجزائرية نجد أن هناك من يضيق معناها بالنضال السياسي ويربط زمانها بالقرن العشرين(الثلاثين سنة الأولى) أما وسائلها فهي سلمية سياسية، وهناك من يوسع معناها ويربطها بكل أشكال المقاومة التي أبداها الجزائريون منذ أن وضع الاستعمار الفرنسي قدمه على أرض الجزائر، وحسب المعنى الضيق فالحركة الوطنية الجزائرية هي مجموع التنظيمات السياسية والإصلاحية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى، والتي عملت على توعية الشعب الجزائري والنهوض به سياسيا واجتماعيا وثقافيا، وحاولت الدفاع عن مصالحه والنضال في سبيل تحقيق الاستقلال بالطرق السلمية، وهي التعبير السياسي لمفهوم الوطنية وحب الوطن، مارسته النخب السياسية على شكل جمعيات وأحزاب ونوادي ثقافية...[18]

ويصب المعنى الواسع للحركة الوطنية الجزائرية في أنها كل سلوك أظهره الجزائريون ضد الاحتلال الفرنسي منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر، سواء اتخذ هذا السلوك شكلا عنيفا تمثل في التصادم مع المحتل كالمقاومات الشعبية المسلحة، أو كان السلوك سلميا تمثل في تلك المجابهات الفكرية والدينية والاجتماعية، واستماتة الجزائريين في الدفاع عن هويتهم، بالاحتجاجات والمطالب والرفض ومعارضة القرارات والمراسيم الفرنسية التي تزعمها جماعة من الحضر،[19] وبالتالي كانت الحركة الوطنية الجزائرية في معناها الواسع هي كل ردود الفعل الوطنية تجاه الاحتلال، وكل أشكال الرفض له من مقاومة شعبية امتدت لسنوات عديدة، والمقاومة السياسية التي قادها مجموعة من الحضر في بداية الاحتلال، والهجرة نحو المشرق العربي، ورفض التجنيس، ورفض التجنيد الإجباري، والمطالبة باسترجاع الأوقاف والدفاع عن القضاء الإسلامي وغيرها من أشكال الصمود والدفاع عن مقومات المجتمع الجزائري،[20] ويبدو أن تحديد بداية الحركة الوطنية الجزائرية قد تأثر بمفهوم الباحثين لها، لذا سنجد من يعود بها إلى بداية الاحتلال ومن يعود بها إلى القرن العشرين.

2نشأة الحركة الوطنية الجزائرية

لقد تمتع الجزائري عبر تاريخه بمقوماته الشخصية، وطالما كان مدركا لهويته، لذا كان من السهل عليه التمييز بين شخصيته وشخصية المستعمر الفرنسي التي تختلف عليه في اللغة والدين والعادات والتقاليد، وأدرك أنه أمام عدو لا هو صاحب حضارة وحامل رسالة كما ادعت فرنسا عندما احتلت الجزائر، لذا عبر طيلة الفترة الاستعمارية بأشكال عديدة ومختلفة عن رفضه للاستعمار، وأكد وطنيته وحبه للجزائر، وأظهرت شرائح المجتمع تماسكها ضد الاستعمار، وكان الدين عاملا أساسيا ومكونا هاما من مكونات الشخصية الجزائرية، فالدين الإسلامي كان عاملا موحدا بين مختلف العناصر الجزائرية، كما امتد تأثيره إلى خارج الجزائر، فالجزائري ينتسب للأمة الإسلامية، وكل بلاد تدين الإسلام هي أرض إسلامية، ويقابلها أرض الكفر أو الكفار وهم من لا يدينون بالإسلام، والدين الإسلامي هو من هذب نظرة الجزائريين للتواجد العثماني، ورغم وجود بعض المعارضين له إلا أنه تاريخيا لم يماثل معارضة الجزائريين للاستعمار الفرنسي، وأكد الشيخ المصلح عبد الحميد بن باديس أن الجزائريين بمختلف أصولهم وألسنتهم وحد بينهم الإسلام منذ قرون: "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام." [21]

وفي معرفة الجزائري لهويته يقول ابن باديس: "...فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية...وأننا أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية ...وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا، أما من الناحية السياسية فقد قضى قانون 1865م باعتبارنا فرنسيين، لكنه نفذ وينفذ تنفيذا جائرا فيفرض علينا جميع الواجبات الفرنسية دون حقوقها."[22] إذا لا مجال للشك أن الجزائريين عبّروا منذ الوهلة الأولى عن تميزهم ورفضهم للاستعمار الفرنسي، وهو ما جعل فريقا من الباحثين يصطلح على ردة فعلهم منذ 1830بالحركة الوطنية الجزائرية، بينما ربط فريق آخر الحركة الوطنية الجزائرية بالقرن العشرين، ونستعرض في ما يلي بعض الآراء لنشأة الحركة الوطنية الجزائرية مع العلم أننا لا نستطيع ترجيح طرف على طرف لأن الأمر مرتبط بقناعات معينة ووجهة نظر خاصة، لكن الأكيد أن الشعب الجزائري رفض الاستعمار الفرنسي منذ البداية.

-رأى أبو القاسم سعد الله أن الحركة الوطنية الجزائرية ظهرت منذ بداية الاحتلال، ومن مظاهرها الهامة في القرن التاسع عشر هو أن الجزائريين لم يقبلوا أبدا بالهزيمة، واستمروا في مقاومتهم للاحتلال بكل الوسائل التي يملكونها، وعلى جميع المستويات، ومن بين وسائل المقاومة ثورات الفلاحين، وتنظيمات الجمعيات الدينية السرية، والأدب

الشعبي...وهذا مرده إلى أن الأمة الجزائرية كانت قائمة على أساس صحيح وواضح عند بداية الاحتلال الفرنسي، فقد كان لها قبل كل شيء شعور وطني مشترك، كما كانت لها حدودها الجغرافية الخاصة، وحكومتها، ورئيس دولتها، وجيشها، وعملتها، ولغتها الخاصة، ودينها، وتاريخها المشترك، وعاداتها، وتقاليدها...وحالة الاستقرار التي كانت تعيشها خلال العهد العثماني لم تدفعها للبحث عن هذه الخصائص، لكن الاحتلال الفرنسي أيقظ ضميرها الوطني، وشكل عاملا حاسما في الحركة الوطنية الجزائرية، فقد أيقظها، وظهرت زعامات جزائرية تثير الحماس الوطني وتدافع عن الأمة الجزائرية ومن أهمهم حمدان بن عثمان خوجة والأمير عبد القادر الجزائري.[23]

حمدان بن عثمان خوجة الذي اعتبره بعض الباحثين رائد المقاومة السياسية الحديثة في الجزائر[24]، وكان له دور سياسي هام في تطور القضية الجزائرية[25]، أسس بمعية بعض الجزائريين أول حزب وطني سياسي عرف "بلجنة المغاربة" واختار أبو القاسم سعد الله أن يطلق عليه حزب المقاومة، وكان أول حركة ضد فرنسا، وساعدته ثقافته الواسعة واطلاعه على كل قضايا عصره الداخلية والخارجية، وكان ملما بشعارات القومية، وأفكار حركة التنوير، وحقوق القوميات، والحريات المدنية، والمساواة بين الناس والتسامح، وتشجع حزب المقاومة بشكاوي الجزائريين لذلك بعث الحزب بنداءات ومطالب وعرائض إلى السلطات الفرنسية في الجزائر وفي فرنسا، وطالب بحقوق الجزائريين، ومن بين العرائض واحدة تتكون من ثمانية عشر قسما مطالبة بلجنة تحقيق، وبعث خوجة شخصيا رسالة في 10 جويلية 1833 إلى الملك لويس فيليب، وطالبه بالتدخل وذكّره بأن للجزائريين الحق أيضا في التمتع بالحرية وكل الفرص التي تتمتع بها الأمم الأوروبية.[26]

واشتهر حمدان خوجة بمذكرته التي قدمها بتاريخ 3جوان 1833إلى وزير الحربية الفرنسية المرشال "سولت" وتضمنت عددا من تجاوزات الجيش الفرنسي في الجزائر ومن بين ما ذكره:" هدموا أملاكنا وأملاك الأوقاف وادعوا أن الهدم لتوسيع الأزقة ولعمل البلاصة...كما استحوذوا على أماكن العبادة وحازوا عليها وبما فيها...أخذوا بساطات جوامعنا وافترشوها في ديارهم...من يوم دخول الفرنسيين الجزائر إلى يومنا هذا لم يزالوا يحفرون مقابر آبائنا وأجدادنا يستخرجون الآجر والأحجار فيبنون بها، وعظام موتانا فيبيعونها..."[27] لقد وصف حمدان خوجة بالشخصية الجزائرية المثقفة، وترك عددا من الوثائق السياسية الهامة حول ما جرى في الجزائر خلال بداية الاحتلال.[28]

وأصر أبو القاسم سعد الله على موقفه، وأكد بأن كل من يرجع بالحركة الوطنية الجزائرية إلى السنوات الأولى من القرن العشرين، ويعتبرها حديثة عهد هو مضلل من الوجهة التاريخية، وأصحابه يتجاهلون عن قصد أو غير قصد تاريخ الجزائر عامة وتاريخ حركتها الوطنية خاصة، فالقول بأن هذه الحركة تعود فقط إلى بعض السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية أو إلى العشرينات، يعني غض النظر عن القرن الماضي، ومن سوء الحظ أن هؤلاء الكتاب لا يعتبرون كل تلك الحركات العسكرية، والسياسية، والعاطفية حتى "أعراضا" لهذه الحركة.[29]

– أكد جمال قنان أن ملامح النضال السياسي في الجزائر كانت موجودة منذ عام 1830، فقد كان الشعب الجزائري شعبا مقاوما، ووجدت طلائع نضالية متفانية من أجل تحرير الوطن، وهذا بالنسبة لجميع الأجيال التي تعاقبت منذ 1830م حتى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى في غرة نوفمبر 1954، وتنوعت وسائل نضال الجزائريين بين رفع السلاح والمقاومة المسلحة، وبين الوسائل السياسية التي مثلها خاصة حمدان بن عثمان خوجة، وإبراهيم بن مصطفى باشا.[30]

–رأي عبد الملك مرتاض أن النزعة الوطنية هي التي شكلت المحرك الأساسي لرد فعل الجزائريين منذ بداية الاحتلال، وهي التي تحكمت في سلوكه، وأن الوطنية الحقيقية الحديثة خاصة بدأت في الجزائر بمقاومة الأمير عبد القادر، والثورات الكثيرة الأخرى التي جاءت بعدها أو واكبتها، كثورة القبائل 1871، وثورة مليانة 1901، وعين توتة 1916م...وغيرها من الثورات التي اندلعت لمقاومة الاحتلال الفرنسي، ومحاولة دحره من الجزائر، وظل مفهوم الوطنية يتبلور ويزداد وضوحا لدى المواطنين حتى قامت الثورة التحريرية المباركة عام 1954ونالت الجزائر بواسطتها حريتها.[31]

–ربط محفوظ قداش الحركة الوطنية ببداية القرن العشرين، واختار عنوان كتابه حولها بـ: " تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919–1939 الجزء الأول وتاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939–1951الجزء الثاني، وأشار في مقدمة الجزء الأول أن بروز البوادر الأولى للحركة الوطنية الجزائرية كان عام 1919 وهو التاريخ الذي بدأ به دراسته لتحليل الحياة السياسية في الجزائر.[32]

رأى يحي بوعزيز أن بداية القرن العشرين شكلت نقطة تحول لتغيير الجزائريين أسلوب الكفاح، فأوقف أشكال العنف ودخل مرحلة جديدة لتجريب الأساليب السلمية، ليأخذ قسطا من الراحة ويدرس التجارب الماضية

وليستنفذ كل الوسائل الممكنة مع الإدارة الاستعمارية، فأخذ إجازة نصف قرن بكامله جرب خلاله الأساليب السلمية السياسية الممكنة، وتنوعت تيارات الحركة الوطنية الجزائرية لكنها عبرت عن مطالب الجزائريين وعكست مقاومتهم للاستعمار.[33]

-بالنسبة للمدرسة التاريخية الفرنسية فقد ربط أغلب كتابها تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية بالقرن العشرين، ونخص بالذكر شارل أندري جوليان الذي اعتبر أن "الوطنية لم تظهر في الجزائر إلا مؤخرا بعد الاحتلال بقرن تقريبا"، ورد ذلك إلى أن الظروف لم تكن مواتية لها خاصة وأن المجتمع الجزائري كان مشتتا، فظلت الجزائر مدة طويلة أكثر البلدان الإسلامية إعراضا عن الأفكار الجديدة، ولم تؤثر حسبه زيارة مُحَمَّد عبده عام 1904على الجزائريين، واعتبر أن العمل الوحيد الذي تم القيام به لصالح استقلال الجزائر، ولصالح تمثيل الأهالي بالبرلمان سنة 1926 هو عمل الأمير خالد حفيد عبد القادر، فهو رائد الوطنية الحقيقي الذي انتسب إليه الجميع حتى الشيوعيون بعد وفاته،[34] ومن جهته رأى شارل روبير أجرون أن نشوء النزعة القومية الجزائرية ارتبط بالنجم الشمال الإفريقي ومصالي الحاج عام 1927 الذي جعل منه حركة وطنية تناضل من أجل استقلال الجزائر.[35]

3أسباب وعوامل نشأة الحركة الوطنية الجزائرية (تأسيس الأحزاب السياسية للدفاع عن حقوق الجزائريين):

لقد كانت هناك مجموعة من العوامل والأسباب الداخلية والخارجية التي أدت إلى نشأة الحركة الوطنية الجزائرية من أهمها:

- لقد فهم الجزائريون منذ بداية الاحتلال الفرنسي أنهم في مواجهة عدو كافر يهدف إلى إضعاف القيم الإسلامية في المجتمع، ويسعى إلى القضاء على البلاد والعباد، وأنهم يختلفون عن الوافد الجديد في كل شيء في الدين واللغة والعادات والتقاليد...لذا قرروا الدفاع عن وطنهم وحقوقهم ووجودهم على أرض الجزائر، ووقفوا بالمرصاد للمشاريع الاستعمارية المتزايدة والمستمرة في الجزائر، وقد كانت الوسائل المستعملة تختلف من مرحلة إلى أخرى وتفاعل فيها الجزائريون مع الظروف الداخلية والخارجية.

– لقد كانت مسيرة الثورات الشعبية خلال القرن التاسع عشر طويلة ومكلفة وقاسية، دامت حوالي سبعين سنة، قدم خلالها الجزائريون ثمنا غاليا من الشهداء والخسائر وتحملوا السياسة الفرنسية من مصادرات للأراضي والثروات ونفي السكان، ففكروا مع مطلع القرن العشرين تغيير أسلوب الكفاح، وإيقاف أشكال العنف وتجربة الوسائل السلمية.[36]

– السياسة الفرنسية الظالمة في الجزائر منذ بداية الاحتلال، وحرمان الجزائريين من كل حقوقهم، وتزايد طغيان المستوطنين واحتكارهم لكل شيء: والأمثلة في هذا الجانب كثيرة نكتفي بالإشارة إلى قرار رؤساء بلديات الجزائر في اجتماعهم بتاريخ 28 ماي 1920العودة لتطبيق القوانين التعسفية الواردة في قانون 15 جويلية 1915، وتأكدت نوايا المستوطنين الأوروبيين بأنهم لم يسمحوا للجزائريين بالحصول على أي حقوق سياسية، وتدعم هذا الموقف المتصلب ضد الجزائريين يوم أن وافق المجلس المالي أو البرلمان الجزائري الصغير على هذا الإجراء في اجتماعه بتاريخ 4 أوت 1920، حيث تقرر العودة إلى الأسلوب القديم في معاقبة الجزائريين طبقا لقانون الأهالي، وعدم السماح للجزائريين أن يشاركوا في انتخاب رؤساء البلديات، كما تقرر جلب مستوطنين جدد من أوروبا إلى الجزائر وتقوية النفوذ والسيطرة الأوروبية على المدن الكبرى في الجزائر.[37]

–تزايد عدد المثقفين باللغة الفرنسية من أبناء الجزائر، وأصبحت هذه النخبة تشكل تيارا سياسيا قويا يطالب بالاندماج والمساواة والتخلص من التفرقة العنصرية، وزاد وعي هذه الفئة عندما اصطدمت بالمعاملة السيئة من طرف المستوطنين في الجزائر، فلم تشفع لهم اللغة الفرنسية وقبولهم التخلي عن هويتهم الإسلامية في الأوساط الأوروبية التي بقيت تنظر لهم نظرة استعلاء وأنهم مجرد مسلمين مثلهم مثل باقي الأهالي، وعلى الأرجح أن هذه المعاملة هي التي شجعت هذه الطبقة على تكوين الأحزاب السياسية للوقوف في وجه فرنسا الاستعمارية، وإبداء رأيهم والعمل لصالح بلدهم وشعبهم.[38]

–تأثير قانون التجنيد الإجباري والهجرة إلى فرنسا: فقد جندت فرنسا الجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى بأعداد كبيرة، كما فتحت أمامهم أبواب العمل فالتحق عدد كبير منهم بفرنسا، وهناك شاهد هؤلاء نمط الحياة الفرنسية، ومدى تمتع الفرنسيين بالحرية، في حين تمارس الإدارة الفرنسية بالجزائر تعسفا كبيرا ضد الأهالي، ولا يتوقف المعمرون عن استغلالهم استغلالا فاحشا،[39] وحرّكت الهجرة عموما سواء نحو فرنسا أو غيرها من البلدان الأوروبية الوعي في نفوس الجزائريين، خاصة بعد مشاركتهم في النقابات العمالية اليسارية التي كانت تناضل ضد الامبريالية والقوات الاستعمارية في

كل مكان، وبالنسبة لمشاركة الجزائريين في الدفاع عن فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى ضد الألمان، فقد دفع بالجزائريين أن يشعروا بأن من حقهم الحصول على المساواة في الحقوق وبالتصويت في الانتخابات.[40]

-شهد العالم العربي الإسلامي بوادر نهضة إسلامية قادها نخبة من الشيوخ والعلماء من أبرزهم جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده، فقد كان لنشاط الرجلين وآرائهما الآثار البعيدة في العالمين العربي والإسلامي، والجزائر من البلدان التي تأثرت عميقا بالآراء التحررية والإصلاحية لهذين الرجلين، ودارت أفكار النهضة عموما حول تحرير الشعوب والتخلص من الاستعمار الجاثم على رقاب المسلمين، وأيضا تكوين الفرد المسلم تكوينا فعالا وتربية النشء على الصلاح والتقوى، وتنبيه المسلمين إلى مسؤولياتهم وواجباتهم ليقوموا بتحرير أنفسهم من الاستعمار.[41]

-بالإضافة إلى ظهور النهضة العربية ساهمت فكرة الجامعة الإسلامية، وانتشار الأفكار القومية والتحررية في العالم، وفي العالم العربي، في دفع النضال السياسي وانتعاش الحركة الفكرية، حيث دعا المفكرون أمثال جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده والكواكبي إلى وحدة المسلمين، خاصة في كفاحهم ضد المستعمر، ودعوا لقيام نهضة حقيقية تعتمد على مبادئ الإسلام والعلم الحديث، ووصلت هذه الأفكار للجزائر عن طريق الجرائد المشرقية التي كانت تتسرب خفية مثل جريدة المنار والمؤيد من مصر، والزهراء والحضارة من تونس، والصباح من المغرب، كانت هذه الصحف تحمل الأخبار للمثقفين الجزائريين وتطلعهم على الأوضاع السياسية والثقافية للعالم العربي الإسلامي، وتمكنهم من إجراء مقارنة بواقع بلادهم، وظهرت في العالم الإسلامي حركات دعمت التحرر والقومية مثل "تونس الفتاة" و"تركيا الفتاة"، فتأثر الجزائريون بما حولهم.[42]

-احتكاك الجزائريين خاصة النخبة بالعالمين العربي والإسلامي، والعالم الأوروبي، هذا الاحتكاك مكنهم من معرفة أخبار العالم الخارجي، والتعرف على أنواع جديدة من الكفاح لم يستعملوها قبلا، أو استعملوها في حدود ضيقة،[43] وقد كان للتيارات الفكرية في المشرق على وجه الخصوص صداها الواسع لدى النخبة العربية في الجزائر[44]، كما لا ننسى أن نذكر أن الكثير من الجزائريين شدوا الرحال إلى المشرق وهاجروا إما طلبا للعلم أو هروبا من سياسة التسلط الاستعماري، وبعد عودتهم كانوا محملين بعلوم ومعارف جديدة، واحتكوا هناك بالعلماء والمفكرين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وتفاعلوا أثناء رحلتهم ثقافيا وفكريا وحضاريا، وساهموا في مختلف النشاطات العلمية والتعليمية، فكانت هذه

الرحلات العلمية بمثابة التكوين متشبع بالروح الإصلاحية الناضجة، والأفكار المعادية للاستعمار، ونما لديهم الشعور بالانتماء العربي الإسلامي، وشكل رجوعهم للجزائر من المشرق مكسبا للنخبة العربية في الجزائر، وزادت الساحة السياسية بهم ثراء، ومن هؤلاء الذين هاجروا نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، العربي التبسي...[45]وكلها أسماء لها تاريخ مجيد في الحركة الوطنية.

-انتعش النشاط الثقافي بعض الشيء مع انتشار طبع الكتب العربية خاصة مع فتح المطبعة الثعالبية من طرف الأخوين ردوسي عام 1896، وجود المطبعة شجع على التأليف فصدرت دراسات ومؤلفات للجزائريين عالجت أوضاع بلادهم، من الناحية الاجتماعية والثقافية، مثل أعمال الطيب مرسلي وبن شعيب والمكي بن باديس، وظهرت الكثير من الكتابات التاريخية ككتابات ابن عمار عام 1902، وابن مريم عام 1907، ورحلة الورثلاني عام 1908، وموسوعة تعريف الخلف برجال السلف للشيخ الحفناوي عام1907[46]، والانتعاش الثقافي يدفع الحياة ويصلح الفرد والمجتمع.

-انتشرت شعارات التحرير في العالم الغربي بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نادت به ثورة أكتوبر في روسيا، ومبدأ تقرير المصير الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية ونادي به رئيس الولايات المتحدة "ويلسون".[47]

-انتشار الصحافة وإدراك الجزائريين لأهميتها فبعدما تعرفوا عليها بعد الاحتلال وشاهدوا تأثيرها أسسوا صحفهم الخاصة، التي أصبحت منابر للدفاع عن قضاياهم وحقوقهم، وعملوا من خلالها على إيصال أصواتهم للرأي العام المحلي والخارجي، وتصدوا من خلالها للحملات الصحفية الفرنسية، فعن طريق الصحافة مثلا عارض الجزائريون مبدأ التجنيد الإجباري، واعترضوا على المعاملات السيئة التي لاقاها المجندون الجزائريون مع أنهم يقومون بنفس المهام التي يقوم بها المجند الفرنسي، وإلى جانب هذا سلطت الصحافة الوطنية الضوء على قضايا المجتمع الجزائري كقضية التجنس، والجمود السياسي وغيرها من القضايا،[48] وقد كانت أعداد الصحف خاصة العربية في تزايد مستمر، وارتبط تزايدها بزيادة الوعي السياسي والوطني بين الجزائريين، وسجلت سنة 1933 رقما ضخما في عدد الصحف العربية، وأنشأت الأحزاب السياسية صحفها الخاصة للتعبير عن أهدافها والدفاع عن قضاياها[49] وكما استفاد الجزائريون من صحفهم الخاصة اطلعوا

على الصحافة المشرقية كاللواء، والمؤيد، البلاغ، كوكب الشرق والمنار...وكانت بمثابة منابع فكرية تعلق بها الجزائريون واطلعوا بواسطتها على مختلف الأخبار.[50]

-عرفت الجزائر بداية القرن العشرين وجود الحاكم العام "شارل جونار" على رأس الحكومة العامة(أكتوبر 1900حتى جوان 1901 ثم ماي1903 حتى ماي 1911) وهي فترة حكم مرنة مقارنة بغيره ذلك أنه بعد الإجراءات الاستثنائية التي كانت اتخذتها الإدارة الاستعمارية ضد الجزائريين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، والمتمثلة في إنشاء المحاكم الزجرية(1902)، سلك هذا الحاكم العام سياسة تقرب من الجزائريين، تمثلت في تشجيعه للخدمات الاجتماعية وللدراسات العربية بإنشائه لمدرستي الجزائر(1904) وتلمسان(1905)، فكانت فترة حكمه من الفترات التي ساهمت في بداية ظهور الجمعيات والنوادي الثقافية.[51]

-أدى تزوير الانتخابات البلدية والمجالس الشعبية العامة وطرد الأمير خالد(اضطر الأمير خالد للانسحاب من الميدان السياسي عام 1923، وتعرض للنفي من طرف السلطات الفرنسية) إلى القضاء على أي تعاون بين المسلمين والأوروبيين في الجزائر، ودفعت بالجزائريين لتكوين أحزابهم للدفاع عن أنفسهم وعن وطنهم.[52]

-تأثير الاحتفالات المئوية الفرنسية على الجزائريين، إذ أصرت فرنسا على إقامة احتفالات بمناسبة مرور قرن على احتلالها للجزائر(دامت 6 أشهر من جانفي إلى 5جويلية 1930)، وتم التحضير لها بدقة، وبدأ الحاكم العام "ستيغ" ينشغل بالموضوع منذ 14 ديسمبر 1923، وشكل لجنة تكلفت بإعداد برنامج إحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر عام 1930، ثم خلفه في مبادرته الحاكم "فيوليت" الذي كان ينوي الاحتفال بتحرير الدول البربرية من الهيمنة التركية، لكن المندوبيات المالية كانت منشغلة بتحضير مختلف المشاريع التي اعتمدت كأساس لقانون 25 مارس 1928، وتأسس بموجب هذا القانون مجلس أعلى للذكرى المئوية ومحافظ عام للذكرى المئوية، وخصص 40 مليون فرنك لميزانية أعياد الذكرى المئوية في البداية، لكنه ارتفع لاحقا ليصل 93 مليون فرنك، وصرح الحاكم العام "بيار بورد1927—1929"أن الجزائر عليها أن تحتفي بالذكرى المئوية لفرنستها، لكي تظهر للعالم أجمع مدى فاعلية المناهج الاستعمارية، وكان المندوب المالي "غوستاف مرسيي" هو المحافظ العام للذكرى المئوية، وقامت الحكومة واللجان بنشاطات كثيرة، وجندت الصحافة والأقلام للاحتفالات، وأقيمت دعاية كبيرة لها، وقدم الكتاب الذهبي للذكرى المئوية للجزائر الفرنسية(1930) وصفا لتاريخ إفريقيا الشمالية منذ استقرار الإسلام بها إلى غاية قدوم الفرنسيين على أنه "غليان قوم

رحل، وإفراط في العنف والتدمير"، ولم يقم العرب حسب الكتاب الذهبي بأي مجهود فكري واعتمدوا على انتحال معارف غيرهم، كما أن اللغة العربية تمثل أفقر لغة في العالم وغير صالحة للتعبير عن الأفكار، وهاجم الكتاب الدين الإسلامي، وبالغت فرنسا في تمجيد أعمالها في الجزائر، وصورت نفسها صاحبة الحضارة التي أنقذت الجزائريين من البؤس، وطبعت الكتب عن الذكرى المئوية، ووزعت داخل وخارج الجزائر، وعقدت المؤتمرات، وكانت الذكرى المئوية والاستعراض الاستعماري عبارة عن إشهار على ما وصلت إليه فرنسا من مجد وقوة في احتلالها للجزائر، واستفزاز لمشاعر المسلمين، وشارك 2000 من الكشافة و4000 من الرياضيين في الاحتفالات الرسمية، وزار الجزائر الرئيس الفرنسي(غاستون دومارغ) ووفود رسمية "قوافل البرلمانيين"، وصور فيلم "الذكرى المئوية" عملية تعمير وإدخال الحضارة للجزائر، كما لو كانت الجزائر أرضا قاحلة من قبل وفرنسا هي التي عمرتها، وقدمت العروض العسكرية ومن بينها عروض الفرق التي كانت تلبس الأزياء العسكرية لعام 1830، وكان الغرض منها إعادة إحياء صور الاحتلال، ونظم استعراض بحري ضخم في مرسى الجزائر، كما دشنت النصب التذكارية في سيدي فرج، وبوفاريك، تخليدا للذكرى، وغيرها من مظاهر الاحتفال التي اتسمت بالغلو والعنصرية، لقد أثرت هذه الاحتفالات سلبا على الجزائريين، وقوبلت بالاستنكار، كما استنكرتها العديد من الدول العربية،[53] هذه الاحتفالات رغم أثرها السلبي كانت دافعا للجزائريين للحفاظ على هويتهم ومقت فرنسا، وزادت من قناعتهم على وجوب القضاء على هذا الدخيل الجاثم على رقابهم.

4تيارات الحركة الوطنية الجزائرية:

انقسمت الحركة الوطنية الجزائرية لعدة تيارات وكان لكل تيار مبادئه ومطالبه، ورؤيته الخاصة في الدفاع عن مصالح الجزائريين والتعامل مع السياسة الفرنسية الاستعمارية، ويمكن تمييز أربع تيارات رئيسية بارزة كما يلي:

-التيار الأول دعاة الإدماج والمساواة: بدأ بالمطالبة بتحقيق المساواة بين الجزائريين الذين يمثلون الأغلبية، وبين الأقلية الأوروبية، وهي تجربة الأمير خالد ورفاقه أثناء الحرب العالمية الأولى إلى منصف العشرينيات، وتطورت مطالب هذا التيار إلى المطالبة بالتجنيس والإدماج للجزائر وشعبها في فرنسا، وهي تجربة الدكتور بن جلول والصيدلي فرحات عباس، وانتهت بالفشل بسبب رفض كل من الجزائريين والأوروبيين لها، وكل طرف من هؤلاء كانت له دوافعه في الرفض، فالأوروبيون باعتبارهم أقلية صغيرة رفضوا تجنيس الجزائريين حتى لا يقفوا على قدم المساواة ويذوبوا في الجماهير الجزائرية التي تشكل الأكثرية، ويفقدوا بذلك نفوذهم وسيطرتهم، وبالنسبة للجزائريين رأوا في التجنس والإدماج تراجع وتخلي عن قيمهم الإسلامية التي تشكل جوهر حياتهم، لذلك رفضوا بإصرار وبصورة قطعية هذا الاتجاه وقال ابن باديس قولته الشهيرة:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب

وبعد الحرب العالمية الثانية تطور هذا التيار في إطار الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي طالب بإقامة جمهورية جزائرية مرتبطة بفرنسا في اتحاد فيدرالي، ولو دون علم، وكان لا يؤمن بأسلوب العنف، بل آمن "بالثورة بالقانون"[54]

وتجدر الإشارة هنا أن الأمير خالد رغم مطالبه بالمساواة إلا أنه كان مختلفا عن غيره من دعاة الإدماج، فقد حاول بجميع الوسائل أن يوحد صفوف المثقفين باللغة الفرنسية ويجعل منهم حزبا وطنيا قويا، يستمد نفوذه من الجماهير الكادحة ويعمل من أجل المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للجزائري، حتى لا يذوب في المجتمع الفرنسي ويفقد هويته، والفرق بين الأمير خالد الذي كان يتمتع بحس وطني كبير وتعلق بالإسلام، وبين غيره كحركة "الشبان الجزائريين" أن هؤلاء جذبتهم الحضارة الأوروبية فربطوا مصيرهم بمصير فرنسا، واعتقد معظم المثقفين باللغة الفرنسية أن مأساة الشعب تكمن في التفرقة العنصرية التي فرضتها الإدارة الاستعمارية، وأن الحل يتمثل في محاربة تلك العنصرية وتطبيق مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الأقلية الأوروبية والأكثرية الجزائرية، وبهذا ركزوا على فكرة الإدماج والحصول على الجنسية الفرنسية، واعتبروا ذلك بداية الطريق لتحقيق أهدافهم ومساعيهم.[55]

وقد فشلت سياسة التجنيس وعاش المتجنسون وضعا صعبا في المجتمع الجزائري، وبرزت العديد من الآثار بمرور الزمن على المتجنسيين أنفسهم وعلى أزواجهم وأولادهم، فالجزائريون المسلمون لم يسامحوهم على فعلتهم ورأوا فيهم مجرد مرتدين وأطلقوا عليهم اسم "لمطوربي" أي المتحول، وقاطعوهم وحاصروهم، والمجتمع الأوروبي رفض التحاقهم به وظل انتماء المتجنس القديم يطارده، وظل الأوربي ينظر إلى المتجنس نظرة احتقار ولا يتقبله على قدم المساواة، وأطلق المتجنسون على أنفسهم مصطلح البؤساء أو "المحقور"(humble)، فكلا المجتمعين رفضه ولم ينعم بتلك المساواة التي كان يحلم بها.[56]

التيار الثاني التيار الاستقلالي: برز بعد الحرب العالمية الأولى في شكل نجم شمال إفريقيا بين أوساط العمال الكادحين المهاجرين، وفي كنف اليسار الأوروبي، ونادى صراحة باستقلال الجزائر، ولذلك انقلب عليه اليسار الأوروبي بأوروبا، فانتقل إلى الجزائر في العشرينيات، وبرز في الثلاثينيات باسم حزب الشعب الجزائري، وتجدد بعد الحرب العالمية الثانية باسم حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وكان ضمن تشكيلاته هيئة عسكرية كلفت بالإعداد للثورة المسلحة التي اندلعت فاتح نوفمبر 1954م.[57]

التيار الثالث التيار الإصلاحي: وهو تيار إصلاحي اجتماعي، بدأ في شكل نادي الترقي خلال العشرينيات، وتطور إلى جمعية العلماء مطلع الثلاثينيات، وركز جهوده على الدفاع عن الشخصية الجزائرية في إطار الشعار الخالد: "الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني"،[58] ومن أقوى شخصيات هذا التيار هم الشيخ عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، ووصف شارل أندري جوليان الشيخ ابن باديس بأنه أ"قوى شخصية إسلامية مغاربية" تمتع بالأخلاق الحسنة وقوة الإيمان، وأصبح "المرشد الكبير للطريق السوي"، وتمتع الشيخان الإبراهيمي والعقبي بشخصية قوية أيضا وكان لكلاهما نفس التكوين الذي كان لابن باديس، والعقبي رجل عمل وسياسي محنك وخطيب فصيح، أما الإبراهيمي فقد ذاع صيته حتى في الهند، وهو من خلف عبد الحميد بن باديس بعد وفاته 1940م في رئاسة الجمعية، وكان برنامج العلماء دينيا وثقافيا في آن واحد، وأراد الرجوع بالجزائريين إلى الدين الإسلامي النقي من كل الشوائب ومحاربة الطرقية، وهذا ما تفانى ابن باديس في تحقيقه، بالإضافة أنه رفض النزعة الإدماجية ولم يقبل مطلب التجنس،[59]لكن تجدر الإشارة أن الجمعية كان لها دور في توعية الجماهير سياسيا ومحاربة الاستعمار وظلمه.

التيار الرابع التيار الشيوعي(الأممي): تبلورت الشيوعية وهي مذهب فكري مادي قائم على صراع الطبقات، على يد كارل مارس في بعض مؤلفاته مثل رأس المال والبيان الشيوعي، وساعده "إنجلز" في ذلك ثم أتى "لينين" من خلال الثورة الحمراء في روسيا فوضع الشيوعية موضع التنفيذ، وأسس الإتحاد السوفياتي الذي يعني "إتحاد القوى العاملة الثلاثة(العمال والفلاحين والجنود)، واستمرت هذه الدولة حتى 1990م، وتمركزت القوة الشيوعية في العالم في ثلاث مناطق الإتحاد السوفياتي، الصين، أوروبا الشرقية، وهذا بعد دخول القوات الشيوعية إلى أوروبا الشرقية إثر الحرب العالمية الثانية، وانتشر الفكر الشيوعي في العالم حتى في الدول المسلمة،[60] ولم يعرف الجزائريون المبادئ الشيوعية

ونشاط"الكومنترون"[61] إلا عن طريق فرنسا، التي تسربت لها الأفكار الشيوعية وانتشرت بين الأوساط الأوروبية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، لكن أصولها الأولى في الجزائر تعود إلى سنة 1902عند إنشاء الإتحاد الثقافي للعمال وقد تأثر هذا الإتحاد بالأفكار "الماركسية" بعد ذلك، وانخرط أعضاؤه في الحزب الشيوعي الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى[62]، هذا الأخير أعلن عن تأسيسه عند انعقاد مؤتمر تور (tours)25-30 ديسمبر عام 1920كفرع فرنسي للأممية الشيوعية العالمية في الجزائر، وهي الأممية التي ركزت في إستراتيجيتها المعادية للاستعمار منذ 1919م على الشرط الثامن للانضمام إلى صفوفها، ومن بين ما ورد فيه: "أي حزب ينتمي إلى الأممية يجب عليه...مساندة كل حركة تحررية في المستعمرات، والمطالبة بإبعاد إمبريالي المتروبول من المستعمرات..."أما الشرط السادس عشر فقد نص على ضرورة مراعاة الأممية الشيوعية لظروف الكفاح المتباينة في مختلف البلدان، ولا تتخذ قرارات عامة وضرورية إلا في الحالة التي يمكن تطبيقها.[63]

وأول تمثيل منظم للشيوعيين الجزائريين كان أغلبهم من المستوطنين الفرنسيين في الجزائر، شاركوا في الوفد الذي شارك في المؤتمر الذي عقده الحزب الشيوعي الفرنسي في مدينة تور عام 1920 كما سبقت الإشارة، والتي دعت إليه النخب الشيوعية في المستعمرات الفرنسية، وتزعم الوفد الجزائري "شارل أندري جوليان"، وأكدت قرارات المؤتمر على إنشاء فروع شيوعية في المستعمرات الفرنسية في شمال إفريقيا من بينها الجزائر عرفت باسم الفيدراليات الشيوعية، وفي 1924، تأسس الإتحاد الجزائري للحزب الشيوعي الفرنسي باسم الفيدرالية الشيوعية الجزائرية والتي بدأت تنشط وتؤسس فروع لها في عدة مدن جزائرية أغلب أعضائها من المستوطنين الأوروبيين في الجزائر، البليدة، وهران، سيدي بلعباس، قسنطينة.[64]

كان فرع الشيوعيون الأوروبيون والجزائريون المؤسس في 1924 تحت سيطرة الحزب الشيوعي الفرنسي، لكن بعد مؤتمر "فيليربان" تم الاعتراف باستقلال الشيوعيين الجزائريين عام 1935، فأسسوا رسميا الحزب الشيوعي الجزائري الذي بدأ في ممارسة نشاطه السياسي.[65]

---

[61] الكمنترون أو الأمميات الاشتراكية تأسست الأممية الأولى في 28 سبتمبر 1864 في لندن وكانت تحمل اسم"الرابطة الدولية للعمال"، الأممية الثانية ولدت فيما بين 1889-1891 في باريس، والأممية الثالثة (المشار إليها أعلاه)أي الأممية الشيوعية وتسمى أيضا الكمنترون وكان الهدف من إنشائها أن تكون أداة الثورة ليس بيد الطبقة العاملة وحسب، بل أيضا بيد كل عمال العالم المستغلين، وقد جاءت في مرحلة كانت الإمبريالية تمر فيها بأزمة، وكانت هذه الأممية نتيجة مباشرة للحرب بعد أن كشفت ضعف الأممية الثانية، وجاءت ثورة أكتوبر 1917لتدفع عملية إنشاء هذه الأممية، من أجل مد الثورة إلى الدول الأوروبية وقد تم إنشاؤها عام 1919(في موسكو) وفي عام 1920أي في مؤتمرها الثاني وضعت الأممية شروط الانتساب إليها وهي 21 شرطا، وتلتها الأممية الرابعة عام 1938(باريس) لكنها اتسمت بالضعف.للمزيد ينظر، موسوعة السياسة، ج.1، ص-ص.326-329